

## مصادر وثائق تاريخ الجزائر

مقدمة : من المعروف أن لكل مقياس من مقاييس تاريخ الجزائر أهميته الخاصة ، سواء بالنسبة للطالب أو بالنسبة للتحصيل المعرفي العام . ومادة المصادر والوثائق تخصص بدراسة الأسس والمنطلقات ، التي لا غنى عنها للبحث والدراسة . فعلى الطالب أن يعرف مفهوم المصطلحين (مصادر) (وثائق) حتى يدرك مدى أهميتهما والهدف من دراستهما . ومعرف أن لكل مجال علمي مصادره ووثائقه ، لكن التاريخ علم يقوم أساسا على مصادر المعلومات التي هي إما كتب مخطوطة أو مطبوعة ، دونت في فترة زمنية بعينها ، وتتناول أحداث تلك الفترة بصفة مباشرة ، يكون مؤلفوها بطبيعة الحال عاشوا أحداثها ووقائعها ، ورأوا أو سمعوا كل التفاصيل . وإما أن تكون وثائق أولية ، التي تختلف عن المصادر من حيث الشكل والمحتوى ، وحتى في طريقة المعالجة للمعلومات ، والجهة المنتجة للوثائق . وتعرف بالوثائق الأساسية . وقد تكون أيضا مصادر أساسية ، حيث تقابلنا ثلاثة أنواع من المصادر : مصادر أولية ، ومصادر ثانوية ، ومصادر بديلة . تماما كما هو شأن الوثائق التي تتشكل أيضا من وثائق أساسية ، ووثائق ثانوية ، وأخرى بديلة . وسيتعرف الطالب الباحث على أنواع الكتب المصدرية والمرجعية ، والوثائق التاريخية وكيفية استعمالها والاستفادة منها ثم العلاقة بين هذه الأوعية للإنتاج الفكري ، وبين دراسة التاريخ بصفة عامة ، وتاريخ الجزائر بصفة خاصة .

هذا فضلا عن أن هذا المقرر يشتمل على جانب منهجي يتعلق بالبحث واستعمال المصادر ، وقد ركزنا على تحليل بعض العينات ونقدها وتبيان أهميتها . بعضها مصادر ، وبعضها وثائق . كما تناولنا أشهر المؤلفين الجزائريين والأجانب في مختلف العصور ، مركزين على العهدين العثماني والفرنسي ، ونظرا لكثرة الموضوعات الفرعية لتاريخ الجزائر وأدرجنا بعضها في الجانب التطبيقي ووزعت على الطلبة لبحثها ومناقشتها . وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن هذا المقرر الدراسي يتكون من قسمين مستقلين : القسم الأول لدراسة المصادر ؛ والقسم الثاني لدراسة الوثائق .

في القسم الأول تناولنا عدة نقاط هامة قسمت إلى فصول تتعلق بدراسة المصادر وأنواعها وبعض النماذج حتى يستطيع الدارس التفريق بين كتب المصادر والكتب المرجعية . أما القسم الثاني وهو قسم الوثائق تناولنا خلاله أيضا عناصر مختلفة تتعلق بالوثائق وأنواعها المختلفة وكيفية التعامل معها . ولكي نحقق أهداف الدراسة التي تصبو إلى اكتساب الطلبة مهارات في استعمال الببليوجرافيات وأنواع أوعية المعرفة كتب مجلات نشرات وحتى الجرائد بالإضافة إلى المواد السمعية البصرية والوسائل الالكترونية . وبالتالي يستطيع الطالب في ختام المرحلة الجامعية الأولى أن يكون قادر على القيام بانجاز بحوث علمية كانت قبل الإصلاحات تدرس بعد التدرج عند إعداد أطروحة الماجستير . وهذا دليل على مدى صلاحية النظام الجديد ومدى استجابته لمطالبات المستقبل علميا ونرجو من الله العلي القدير التوفيق والسداد .

## القسم الأول المصادر

### الفصل الأول تعريف المصادر

المقصود بالمصادر هنا مصادر المعلومات التي هي المعين أو (العين) الذي نستقي منه المعلومات المختلفة ، وبدونها لا يوجد بحث ولا تاريخ . فمصادر المياه هي مكان منبع المياه الذي يزود الناس بالمياه الصالحة للسقي ، سواء للإنسان أو للحيوان والنبات . وبناء عليه يقال : الخطات التعليمية : هي مصادر للتعليم ، وهي بيئة تعليمية تحتوي أنواعاً متعددة من مصادر التعلم يتعامل معها المتعلم فتتيح له فرص اكتساب المهارات ، وإثراء معارفه عن طريق التعلم الذاتي . فالمدرسة مصدر للتعلم ، والجامعة مصدر التعليم العالي والكتاب والوثيقة كلها مصادر للتعلم والمعرفة ..

لقد تعود الأكاديميون بالجامعات<sup>1</sup> على إطلاق مصطلح المصادر والمراجع، أو قائمة المصادر والمراجع، دون الاهتمام بالفروق الموجودة بين النوعين. فالمصدر هو الوعاء (الكتاب أو المجلة) الذي يتعلق بالموضوع مباشرة دون أية وساطة؛ أما المرجع فهو لا يتصل بالموضوع المدروس مباشرة، وإنما يعتمد على المصدر الرئيسي ويأخذ منه. ومعنى هذا فإذا وجد المصدر الأصلي فلا داعي لاستعمال المرجع، إلا لإضافة ما استجد في الموضوع أو للاطلاع على ما ظهر من جديد حول الموضوع المدروس بعد عصر المؤلف الأصلي. يعقود أو قرون عدة .

وعليه سنتناول المصطلحين . المصادر و المراجع - بالدراسة، مبتدئين بتعريفهما :

أولاً لغوياً: إن لفظة (مصدر) ولفظة (مرجع) كلمتان مترادفتان كثيرة الاستخدام لدى بعض الطلبة والباحثين ، على الرغم من كونهما تختلفان في المعنى والوظيفة ، لدى أصحاب الاختصاص، وغالبية الباحثين والطلاب ؛ فالمصدر بالنسبة للمؤرخين هو ما يمدهم بالمعلومات الأولية والمباشرة ، مثل البقايا والمخلفات الأثرية ومن تحف وأوان وأدوات ونقوش وزخارف ونقود، ووثائق ومخطوطات خطية ومطبوعة وغيرها.

وعند الأدباء يعتبر ديوان الشاعر مصدراً ، كديوان الشاعر أحمد شوقي لأنه هو المؤلف وقد سمع القصائد بأذنه ورأها بعينه وربما كتبها بيده، أما ما كتب مؤخرًا حول الشاعر أحمد شوقي أو عصره فهو مرجع ، وفي علم المكتبات والمعلومات تعتبر المراجع العامة والخاصة أوعية للمعلومات تمتلك من طبيعة المعلومات والتنظيم ما يجعلها غير صالحة لأن تقرأ من أولها إلى آخرها ، ككيان فكري مترابط . وإنما تستعمل أو يرجع الباحث إليها عند الحاجة لاستشارتها في البحث عن معلومة معينة ، أو من أجل الإجابة عن استفسارات أو من أجل الإجابة عن سؤال عابر بعينه أو لحل ألغاز وإشكاليات مطروحة . أما المصادر، فهي مصطلح واسع جداً في علم ( المكتبات والمعلومات ) يشمل جميع أوعية المعلومات ، بغض النظر عن شكلها أو موضوعها .. ويعني هذا أن المصادر تشمل المراجع أيضاً؛ وفي ميادين المعرفة الأخرى تعني جميع أوعية المعرفة كتب ومجلات وأطلس وأدلة وموسوعات ودوائر معارف وحتى القواميس والمعاجم ...

ولعل هذا ما جعلنا نتساءل عما إذا كان هناك فرق بين المراجع والمصادر ؟

إذن المصدر تم إعداده ليقرأ من أجل اخذ معلومات بعينها يرى بعض العلماء أن المرجع هو المصدر بناء على المعنى اللغوي للفظين : صدر كل شيء هو أوله . وأصدره فصدر ، أو أرجعه فرجع .الموضع الموقع المصدر ، وجمعه مصادر، ويقال الرجعي أي الرجوع إلى والمرجع أيضا الموضع ، ومنه قوله تعالى : "إلى ربكم مرجعكم"<sup>2</sup> ؛ بينما يرى فريق آخر أن المصدر يختلف تماما عن المرجع . لأنه وجد للبحث عن معنى كلمة معينة فقط . أو علم من الأعلام . فالمراجع هي الكتب التي ألفت من أجل القراءة من طرف عامة الناس، أي للرجوع إليها للعلم بشيء حول موضوع ما أو بعدة أشياء . وعادة ما يقرأ المرجع من أوله إلى آخره. فالمراجع إذن وضعت لعامة القراء، أما المصادر فهي موجهة أساساً للمؤلفين والخاصة أي المتخصصين من أهل التخصص. كالمؤرخين بالنسبة لمصادر التاريخ، وكمصادر الأدب للأدباء. وديوان الشعر بالنسبة للشعراء علماً بأن هناك صلة وثيقة بين الأدب والتاريخ.

1- الأكاديميون هم النخبة المتميزة في ميدان من الميادين المعرفية والعلمية ' هناك الاكاديمية العسكرية والأكاديمية الرياضية والأكاديمية الجامعية والأكاديمية التعليمية الثانوي وحتى أكاديمية الفنون والآداب... الخ

وقد عرفه أحد الباحثين فقال: المصدر والرجوع مصدران بمعنى واحد، والصدر أيضا اسم يدل على أعلى ومقدم كل شيء وأوله، كما تذكر معاجم اللغة. وعليه يمكن التمييز بين المصدر والمرجع على أساس أن الأول أخص من الثاني، لأنه يقتصر على ما يرتبط بالأشياء الأساسية أو الأولية أو التي تحتل الصدارة بالنسبة لموضوع البحث. أما المرجع فهو يأتي في المرتبة الثانية بعد المصدر أو ينوب عنه في حالة فقدانه<sup>3</sup>.

وقد انتهى الباحثون إلى أن المراجع والمصادر سواء كانا مترادفين، أم أن كليهما يؤدي معنى واحداً أن الباحث لا يستغنى عنهما، بل ذهب إلى أنهما الميزان الذي يجعل الباحث يمضي في بحثه، أو يعيد النظر إذا كانت المراجع والمصادر شحيحة لا تفي بالغرض، فيضطر الباحث إلى إعادة النظر في بحثه ذلك. وقد يبحث له عن بديل آخر يكون أكثر حظاً وتتوفر حوله مصادر ومراجع كافية.

المصدر وسيلة للتثبت والتوثيق والاطمئنان إلى صدق الخبر وجدة المقولة من عدمها. فكلما شككت في أمر ما وعُدت إلى مصدره تجلت لك الحقيقة، ووضحت لك الرؤية وتبين لك الصحيح من الزائف. فالباحث يجد نفسه مخير بين تبني قضية وإثبات صدقها؛ أو تأمل زيف تلك القضية والقيام بدمها وتعريتها، وفي كلا الحالتين يتحتم على الباحث اللجوء إلى المصدر الأصلي لأنه المفتاح لكل المعضلات العويصة.

والمصدر من جهة أخرى وسيلة إلى الدرس والتحليل والمعالجة وحسم المواقف الصعبة والخلافات. لاسيما حين يقف الباحث في مفترق الطرق حيران لا يدري وجهته الصحيحة، إلا من خلال استعانته بمصادره وتحليل ما ورد فيها من أخبار ومشكلات. وتعود أهمية المصدر لكونه وعاء فكرياً لتراث الأمة وتاريخها<sup>4</sup>.

ثانياً: المدلول الاصطلاحي (مصادر ومراجع)

ففي مجال الدراسات الأكاديمية نجد أن البحوث الأكاديمية في شكلها الحديث تعتبر قريبة العهد نسبياً، وقد أشار بعض الأكاديميين إلى أن أقدم الرسائل الجامعية مثلاً بمعناها الحديث، في جامعات الدول العربية مثلاً، تعود إلى أوائل القرن العشرين. وقد تعود المشرفون على الرسائل الجامعية، ولجان مناقشة تلك الرسائل، وحتى المرشحون لنيل شهادة درجة علمية - الماجستير الدكتوراه - على التعرض إلى الأصول التي اعتمدها عليها الباحث للحصول على معلومات بحثه، وتحديد الأوعية التي كتبت حول الموضوع، قبل أن يتناولها الباحث الجديد أو الطالب. وهنا ظهرت كلمتا مصادر ومراجع كمصطلحين يحدد كل منهما نوعاً من الأدب المكتوب السابق، أي ما كتب حول الموضوع من قبل. وقد استعملت الكلمتان من قبل الأكاديميين<sup>5</sup> في صيغة الجمع "مصادر" تعني لديهم الكتب والمؤلفات التي تكون مادة البحث في الرسالة الجامعية؛ أما كلمة مراجع فإنها تعني جميع الكتب والمقالات والبحوث والتقارير وغيرها من أوعية الإنتاج الفكري، مما يكون قد كتب حول موضوع البحث لاحقاً في الزمن، واعتمد على المصدر الأصلي. أي أن المرجع يبدأ حيث ينتهي المصدر الأصلي.

<sup>3</sup> - محمد عبد المنعم خفاجي. البحوث الأدبية ومناهجها. دار الكتاب اللبناني، ص 76-77.

<sup>4</sup> - مي يوسف خليف. مصادر تراثنا. القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1994، ص 5-6.

<sup>5</sup> - الأكاديميون هم العلماء المتخصصون في ميدان معين ويأتون على رأس الهرم للتخطيط والتوجيه ووضع البرامج.

فإذا كانت الرسالة الجامعية حول الفنون البلاغية في أدب الجاحظ مثلا: فان جميع مصنفات الجاحظ ومؤلفاته تعد مصادر للبحث . أما ما كتب حول النقد وكتب الأدب الأخرى والمقالات التي تتحدث عن شخصية الجاحظ أو عن أدبه، بعد قرن أو قرنين من الزمن فإنها تعد مراجع للبحث. وفي التاريخ يعتبر ما كتبه الطبري في عصره مصدر أساسي . أما ما كتب من تاريخ اعتمادا على مدونات الطبري أو شروح لها، أو لجزء من نصوصها، فهو يدخل في مرتبة المراجع يشرح أو يدرس جانب من حياة المؤلف الأصلي وكذلك ما كتبه تلاميذة الطبري بعد وفاته. ونلاحظ هنا أيضا أن الدلالات اللغوية لكلمة مصدر هي التي رُشحتها في نظر الأكاديميين لتكون المصطلح الذي يدل على المؤلفات موضوع البحث. لأن هذه المؤلفات تمثل المواضيع المتصلة بأصل البحث وصدره وأوله وأساسه. وأما كلمة مرجع فإنها تحمل معنى العموم في دلالاتها اللغوية، وقد اختيرت لتدل على المؤلفات والمواد الأخرى المساعدة غير الأساسية، وإنما قد تضيف جديدا وصلت إليه دراسات الموضوع مؤخرا<sup>6</sup>.

إن مشكلة تحديد المصدر بصفة دقيقة دون أن نخلط بين المصدر والمرجع، ما تزال من الأمور الغامضة حتى لدي المتخصصين في الميدان الواحد. فما بالك في الميادين المعرفية المختلفة. فلا بد من التفرقة بين المصدر والمرجع، وبيان الأساسي منهما وما هو ثانوي. لأن كثير ممن يرددون المصطلحين وكأنهما شيء واحد، لدرجة أن اغلب الباحثين يضعون الكلمتين متجاورتين في نهاية بحوثهم الأكاديمية ونهاية كتبهم المنشورة حديثا، تحت اسم قائمة المصادر والمراجع، أو قائمة مصادر البحث ومراجعته.

وهناك من عرف المصدر والمرجع معا بأتهما كل ما يمت بصلة للبحث من دراسات ووثائق، قديمة كانت أو حديثة، مخطوطة كانت أو مطبوعة، أي إن المصادر هي كل ما يرجع إليه الباحث، والمراجع هي أيضا كل ما يرجع إليه الباحث أثناء البحث، غير أنه في الحقيقة هناك فرق بين النوعين المصادر الأساسية وغير الأساسية، فالأساسية هي كتابة المعاصرين للمؤلف والقريبين من الفترة التي عاش فيها المؤلف؛ أما ما جاء في كتب التراث مما كتب متأخرا عن زمن المؤلف يعتبر مصادر ثانوية؛ أما المرجع فهو الكتاب الحديث والمقالات وهناك من يعتبر المصدر مرجع أصلي، والمرجع الحديث بالمرجع الثانوي، ويشمل المخطوطات والكتب التي يكون المؤلفون قد شاهدوا الفكرة أو عاشوها، أما المراجع الثانوية فهي المراجع التي أخذت مادة أصلية من عدة مراجع وتم إخراجها في قالب جديد. وهذا ليس صحيح لأنه ليس كل قديم مصدر، وليس كل حديث مرجع وليست كل المخطوطات مصادر<sup>7</sup>. فلو فرضنا أن لدينا بحث بعنوان تاريخ الجزائر الحديث هل نعتبر ما كتبه ابن خلدون أو المقرئ مصادر لبحثنا؟

الجواب بالطبع لا. لكون أن المؤلفان عاشا قبل الفترة المدروسة ولا يعرفون شيء عن التغيرات والتسميات الجديدة، وبالتالي فمصادرنا ستكون حتما ما كتب في العصر الحديث مثل كتابات: محمد بوراس الناصري وحمدان خوجة وهايديو وليام شالر الخ...<sup>8</sup>

6- عبد الرحمن عميرة. أضواء على البحث والمصادر . ص100

7- أحمد سيد محمد. المصدر الأدبي مفهومه وأنواع دراسته . م. و. ك. الجزائر 1986.

8 - شالر وليام هو قنصل الولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر لعب دورا هاما في العلاقات بين البلدين .في الربع الأول من القرن التاسع عشر .

وإذا كتبنا عن الثورة التحريرية فمصادرنا حتما ليست الكتب العتيقة، وإنما ستكون ما كتب خلال الخمسينات والستينات من القرن العشرين، كتب وجراند ومجلات ومراسلات وتقارير الخ. وهذا معناه أن لكل فترة زمنية مصادرنا ومراجعها بغض النظر عن الشكل والقدم والجدد. أي أن الأولوية تعطى لمعاصرة الحدث وليس للشكل .

نعود ونقول من جديد: المصدر هو المصنف الأم، أو الوثيقة الأصلية، أو هو المخطوط أو المطبوع الأول. فالمصدر بالنسبة للمؤرخ ما يمدّه بالمعلومات الأولية المباشرة، مثل المدونات والآثار والهيكل . والمصدر عند الأديب هو الديوان أو المصنف . وعند الفنان هو اللوحة أو العمل الإبداعي . أما المرجع فهو المؤلف الذي يعتمد على المصدر كليا وبأبي بالدرجة الثانية من حيث القيمة . فالمرجع للمؤرخ ما كتبه طلابه مستوحى من مؤلفاته وانجازاته، والمرجع عند الأديب ما كتب عن ديوانه وشعره، والمرجع عند الفنان ما كتب حول لوحاته وأعماله الإبداعية<sup>9</sup>.

ثانيا: أنواع المصادر : هناك ثلاثة أنواع من المصادر:

1- مصادر أولية : وهي التي تتصل مباشرة بالموضوع ومؤلفها عاش الأحداث أو رآها بعينه، أو سمعها بأذنيه أو أدركها بحواسه، أو دوّنّها بقلمه، أو أملاها على طلابه .

2- مصادر ثانوية : وهي التي تكون قريبة من الموضوع ومن زمن المؤلف كالكتب التي يؤلفها تلامذة المؤلف أو أحد أقاربه من بعده .

3- مصادر بديلة : وهي الكتب التي نقلت عن المصادر الأصلية واحتفظت بالنصوص الأصلية كما هي، ومع مرور الزمن ضاع المصدر الأصلي بسبب من الأسباب، فيصبح الكتاب الأخير الذي يحتفظ بالنصوص الأصلية مصدرا بديلا للمصدر الأول المفقود لسبب من الأسباب، ويحل محله كمصدر رئيسي بديل<sup>10</sup>.

هناك مصدر رئيس ومصدر ثانوي . المصدر الرئيس هو الكتاب الذي يحتوي على المعلومات الصحيحة حول الموضوع المبحوث ، أما المرجع هو مصدر ثانوي وكتاب يساعد على إتمام المعلومات وتأكيد صحة بعض النقاط . فكتاب الطبري مصدر أساسي - لا يمكن بأي حال - الاستغناء عنه للباحث الذي يدرس الطبري وعصره<sup>11</sup>

كموضوع، والمعلومات لا جدال فيها أو حولها . أما كتابات المعاصرين للطبري تعتبر مصادر ثانوية أو مراجع يرجع إليها الباحث، لأنه يعتمد بالدرجة الأولى على المصادر المباشرة التي كتبها الطبري نفسه . المصادر التاريخية: ولكل ميدان مصادر فنقول مصادر

9 - هلال م. ناتوت . التوثيق الإعلامي . ص (77)

10- هناك من يصنف المصادر إلى شرعية وغير شرعية وهناك من يجعل قسم للمصادر وقسم للمراجع مما يدل على الاختلاف بين النوعين . مجلة الدعوة الإسلامية ، لبيبا ، العدد الخامس ، 1988 . ص 678-679

11 - انظر عبد الرحمن عميرة . أضواء على البحث والمصادر ، بيروت، دار الجيل، 1991 . ص 81

الأدب ومصادر اللغة ومصادر العلوم ومصادر العلوم الإنسانية منها مصادر التاريخ. ومصادر التاريخ الإسلامي منها الإشكال التالية للمصادر:

أ- المصادر الأثرية وتشمل:

- الوثائق الرسمية والأوراق البردية والوقفيات - الكتابات الأثرية أو النقوش

- العملات والمسكوكات - الآثار المعمارية والتحف

ب- المصادر المكتوبة وتشمل -دوائر المعارف والموسوعات

- القرآن الكريم والحديث والتفسير - كتب الطبقات والأنساب

كتب الجغرافية - كتب الرحلات الرحالة المغاربية ومصنفاتهم

أما مصادر تاريخ الجزائر الحديث فهي تحتوي على هذه الإشكال المذكورة المعاصرة لأحداث التاريخ الحديث والمعاصر ، أي ما كتب خلال العهد العثماني بالإضافة إلى ما صنف إبان العهد الاستعماري. ويمكن إضافة الأشكال الجديدة من الوسائل الناقلة أو التي تحتوي الإنتاج الفكري كالوسائل السمعية والبصرية والمواد الالكترونية كالأقراص الممغنطة والأقراص المضغوطة وما تأتي به التطورات العلمية والتكنولوجية .

كما سبق تعرفنا على مفهوم المصدر والمرجع ودرجة التقارب والاختلاف بين المصطلحين لدى المتخصصين عامة ولدى المؤرخين بصفة خاصة ..